الانتماء القبلي لدى الشباب بين التمثل والممارسة
–دراسة ميدانية لعينة من طلاب جامعة بشار-

Youth Tribal affiliation between representation and practice

طعام عمر[1*]، دناقة احمد[2]

[1] جامعة طاهري محمد بشار (الجزائر)، amar.taam@univ-bechar.dz

[2] المركز الجامعي افلو (الجزائر) ، a.dennaka@cu-aflou.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2021/05/07 تاريخ القبول: 2021/05/30 تاريخ النشر: 2021/06/23

ملخص:

تهدف الدراسة إلى معرفة محددات هذا الإنتماء وكذا الآليات التي توظفها القبيلة من أجل عادة إنتاج نفسها من خلال قوة الرابطة الدموية وتقويتها في أذهان الشباب عن طريق النسب و الزواج ،إذ رغم توفر الأسباب الموضوعية لزوال العصبية القبيلة وتفتيت البنية الاجتماعية للقبيلة رغم التفكيك الممنهج والضربات التي تلقتها القبيلة في الصحراء الجزائرية إبتداءا من السياسة الاستعمارية أثناء الاستعمار ،ثم سياسة التحديث بعد الإستقلال إلى يومنا هذا ،إلا أنها إستطاعت الاستمرار حيث لا تزال القبيلة تفرض هيمنتها ،بحكم متانة بنيتها التقليدية ورسوخ القيم و المبادئ التي ترتكز عليها في أذهان أفرادها ،إلا أن عنصر الشباب بدأ يتخلى عن إيمانه بالقيم التقليدية إلا أن عنصر الشباب بدأ يتخلى عن إيمانه بقيمها واستبدالها بالقيم العالمية التي فرضتها التغيرات المتسارعة و المتلاحقة منها العولمة و التكنولوجيا .

كلمات مفتاحية: الإنتماء القبلي الشباب التنشئة الاجتماعية، المواطنة.

Abstract:

This study aims to know the determinants of Youth Tribal affiliation as well as the mechanisms employed by the tribe in order to produce and strengthen itself through the strength of the bloody bond in the youth minds through descent and marriage. Despite the availability of objective reasons for the demise of the tribalism, the fragmentation of the tribe's social structure, the systematic dismantling and strikes received by the tribe in the Algerian desert starting with colonial policy during colonialism, then the policy of modernization after independence to nowadays; however, tribe has been able to go ahead to impose its hegemony, by virtue of the durability of its traditional structure and the firmness of the values and principles on which it is based inside minds of its members. Nonetheless, the youth start abandoning the belief on tribe traditional values and

replacing them with global values imposed by rapid and successive changes, including globalization and technology.

Keywords: the tribe, the Youth, the affiliation.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

1.1 الإشكالية :

لعل موضوع القبيلة قد أهمل نسبيا في دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية لذلك يشكل موضوع القبيلة والمجتمع المدني من المواضيع الهامة والتي تفرض نفسها لأنه لا يمكن فهم سيرورات التحديث في المجتمع الصحراوي إلا من خلال نقيضه ونعني بذلك البنية القبيلة التقليدية.

لذلك نحاول من خلال هذه الدراسة الميدانية الوقوف على واقع البنية القبلية في المجتمع الصحراوي وتمثلاتها لدى الشباب الجامعي من خلال محاولة استجلاء مدى استمرار ظاهرة العروشية والقبلية في ظل التغيرات المتسارعة التي فرضتها العولمة واكراهاتها. وكيف أن الجماعات القرابية ذات المنشأ القبلي استطاعت إعادة إنتاج نفسها من خلال إعادة إنتاج العلاقات الحميمية ومحاولة توفير الأمن والأمان لأفرادها ومساعدتهم على الاندماج من خلال التكفل باحتياجاتهم ومصالحهم من خلال التضامن الاجتماعي والتي يظهر خاصة في المناسبات، وكذا قيامها بتنشئة استباقية من اجل احتواء جيل الشباب. لذلك نحاول الإجابة على التساؤل التالي: ***ما هي محددات الانتماء القبلي لدى الشباب في المجتمع الصحراوي***؟.

2.1 الهدف من الدراسة:

تحاول هذه الدراسة معرفة محددات الانتماء القبلي لدى الشباب في المجتمع الصحراوي الجزائري وكذا الآليات التي توظفها البنية القبيلة من اجل إعادة إنتاج نفسها.

3.1:المنهج :

بعد طرح إشكالية الدراسة وتبيان الهدف منها اعتمد في الدراسة على منهج التحليل الكيفي ضمن نطاق السوسيولوجيا الفهمية لرائدها ماكس فيبر وذلك قصد محاولة أي معنى يعطيه المبحوث لانتمائهم القبلي ،وليكون هذا المنهج الأنسب في الغوص في تمثلات الشباب لهذا الانتماء ،والذي سينعكس في شكل تفاعل اجتماعي لديهم وذلك باعتبار أن هذا لانتماء بطبيعة الحال سيكون متلونا مع انتماءات تمليها المواقف و الأدوار التي يشغلونها (انتماء أكاديمي بمعنى طالب في الجامعة /انتماء ضمن وسط حضري مفتوح ومتعدد بعيد عن الأسرة والجماعة الأولية).

4.1 أداة جمع البيانات

لتكون أداة جمع البيانات هي المقابلة ،وهي الأداة التي تتناسب مع القضية المراد دراستها ،أي الإنتماء القبلي لدى الشباب ،حيث تسمح للباحثين التفاعل مع المبحوثين ،قصد استنطاق المعاني التي يعطيها المبحوثون لمسالة الانتماء تمثلا وممارسة ، لتكون نوع المقابلة بالمقابلة الجماعية حيث يهدف هذا النوع من الأدوات والذي يقوم على التفاعل الاجتماعي مع الجماعات نظرا لخصوصية الموضوع باعتبار أن مسالة الانتماء تأخذ وجهان أولهما ذاتي من جهة وجماعي من جهة أخرى والذي سيتجلى في سلوك اجتماعي ،أيضا وقد قسمنا المقابلات الجماعية إلى قسمان حيث كان القسم الأول عبارة عن مقابلة بين مبحوثين يمثلون إنتماءا قبليا واحدا ،أما عن القسم الثاني من المقابلات الجماعية ، كان مع مبحوثين يمثلون مختلف الإنتماءات القبلية على مستوى مجتمعهم ،حتى يضمن لنا جلب أكبر عدد من مؤشرات البحث على مستوى أول ،وتوفير أكبر قدر من الراحة و الإطمئنان لدى المبحوثين ،وفي مستوى ثاني من أجل ملاحظة أنماط التفاعلات بين عينة الدراسة وذلك من خلال إعتبارها كعينة مصغرة من مجتمع البحث .

5.1 عينة الدراسة :

بإعتبار أن تقنية المقابلة لا تعتمد في عدد عينتها على قيمة إحصائية محددة بل تعتمد على مبدأ التشبع فقد شملت الدراسة على ثلاثون طالبا من قسم العلوم الإجتماعية ،تخصص علم الإجتماع و كان نوع عينتنا من العينة النمطية بإفتراض أن طلبة العلوم الإجتماعية وبحكم تخصصهم أكثر تفاعلا في مثل هذه المواضيع ..

2. في البحث عن معنى الانتماء القبلي لدى الشباب:

1.2 الانتماء القبلي لدى الشباب يأخذ بعدا هوياتيا :

يمكن تفسير ما جاء إجابات المبحوثين والتي أكدت على مسألة الانتماء للقبيلة أنها انعكاس لتفاعل اجتماعي و الذي يرى أن تصور الآخرين للفرد يتم من خلال استجابتهم له ، وهو العنصر الذي تفترضه مدرسة التفاعل الاجتماعي، حيث يرى المبحوثون أن معايير الاندماج داخل الجماعة لا يتم إلا من خلال ما يقبله أفراد القبيلة، و نستأنس في هذا السياق بأحد إجابات المبحوثين لما يقول :"أحرص أنا و كغيري من أفراد قبيلتي على الالتزام بجميع القيم التي حددتها القبيلة و التي توارثناها من أجدادنا وهو الأمر الذي تربينا عليه منذ صغرنا" .

كما و يعتبر تصور الآخرين للفرد و الذي يتم من خلال استجابتهم له عنصرا أخذ اتجاهين أثنين انعكسا في السلوك اليومي لدى الشاب المنتمي للقبيلة أولها ممثلا في دور الأسرة و الآخر متمثلا في جماعة الرفاق و جماعات اللعب، وهما العنصران المسئولان على نقل عنصر الاستجابة و التفاعل وفق ما يراه الآخرون. ويتم ذلك عن طريق نقل القيم من خلال التعلم أو التقمص، وفي هذا السياق يصرح أحد المبحوثين قائلا: "منذ صغري كان يحرص أبي على يقتصى عن أحوال قبيلتن، سواء من خلال عقد جلسات، أو من خلال حرصه على حل الخلافات أو المشاكل في القبيلة، و هو الأمر الذي اعتدت عليه ..." .

ليكون للعنصر الثاني و المتمثل في الجماعات الأولية الدور الحاسم في بلورة الانتماء القبلي لدى المبحوثين و المتمثل في جماعة الرفاق، حيث و قد اعتاد عليه أفراد الفئة المبحوثة

أنه في مراحل طفولتهم التي مروا بها كانت تربطهم علاقات الجوار ذات صفة القرابة بامتياز، الأمر الذي قوى لديهم عنصر تقوية أواصر المحبة و التواصل لتترجم في شكل عبارات متكررة لدى إجابات المبحوثين و المتمثلة في :" أولاد العم ".

وبناءا على ما تقدم ذكره يمكن اعتبار الجماعات الأولية من الأسرة و جماعات اللعب الجيرة، و التي تعمل على تشكيل الأطر الأولية لتفاعل الفرد وعملية تنشئته،...ومحاولة ضبط سلوكه الفردي وتنمية شخصيته بما يتوافق مع سلوك الجماعة امتثالا لها و طاعة لها (عيسى عثمان، 2007، صفحة 117) وهو الأمر الذي أكده "تشارلز كولي" (Cooly CHarless) أحد رواد التفاعلية الرمزية .

وعلى كل فتثبيت و تبني قيم القبيلة و ثقافتها سلوكا وتمثلا انعكاسا لدور الأسرة و الجماعات الأولية و بمقدار هذا الالتزام يزيد الفرد في نشر قيم وثقافة القبيلة الأمر الذي يعطيها رأسمال رمزي لتزداد قوة و صلابة و رفض كل فكرة من شأنها تقويض بنية الانتماء القبلي.

وتعبر تهيئة المجتمع لأفراده لاجتيازه مرحلة عمرية لأخرى من صلب أولوياته، و من خلالها يعطي لمجتاز المرحلة إشارة أنه بالفعل على وشك بداية حياة جديدة غير التي اعتادها، لتكون مرحلة الامتداد و الانتقال إلى فئة عمرية و اجتماعية لدى أفراد مجتمع لا تتم إلا مع وجود التماهي مع القبيلة، و يظهر ذلك جليا على سبيل المثال في الاحتفال بالأعراس، حيث أنه و لكل قبيلة طريقة الاحتفال الخاص بها، ويمكن توظيف مفهوم طقوس العبور للدلالة على بداية المرحلة و التي تؤكد على أن الانتماء لا يتم إلا عن طريق مباركة القبيلة و في إطار عاداتها وتقاليدها، و "تلك الطقوس تعبر جملة من "الميتات الصغيرة" (جمع موت) التي ينتقل عبرها الفرد من حياة، من وضعية إلى أخرى و أنها تحتاج، في كل مرة إلى ترويض يرافقه مرور الفرد من مرحلة إلى أخرى، في حياته الاجتماعية، مراسيم متشكلة من جملة من الطقوس، من بين الوظائف المتعددة التي يتميز بها "الطقس"، نجد ضمان استمرارية جماعة اجتماعية ما عبر تماسكها و تآزرها حول مثالية اجتماعية محددة"

(ايت مولود، 2015، الصفحات 20-10) و هو الأمر الذي أكده المبحوثون بحيث لا يتصورون التفاعل مع المناسبات و الاحتفالات بدون إعطائها بعدا قبليا*.

يمكن أن يؤدي تثبيت الانتماء القبلي لدى الشباب منذ مراحل التنشئة الاجتماعية الأولى على اعتبار قبيلته هي الجماعة المرجعية الأولى أو يعتبرها الجماعة المعيارية و التي يستمد منها كل أفكاره و معتقداته و التي تترسب على شكل تمثل اجتماعي، و بالتدريج ستتضح له ملامح الهوية الاجتماعية ضمن إطار القبيلة في درجة أولى، بل يمتد الأمر إلى أبعد من ذلك فترسخ الهوية الاجتماعية في إطار القبيلة، تسبقه مرحله أولى و هي بلورة ذات الشاب في إطار القبيلة حيث أن: مفهوم الذات لدى الفرد يشتق من معرفته بعضويته لدى الجماعة أو الجماعات التي ينتمي اليها، مع اكتسابه المعاني القيمية و الوجدانية المتعلقة بالجماعة ، وكثيرة هي المعاني و الأوصاف التي عبر عنها المبحوثون في توصيف القبيلة التي ينتمون إليها، و بنوع من الافتخار و الاعتزاز **.

إن اعتبار الانتماء القبلي لدى الشباب كإطار مرجعي و اعتباره جماعة معيارية له من الخطورة بمكان أي يقصي كل فكرة تتماشى مع مفهوم المجتمع المدني الذي يقوم على القبول و التعايش مع كل أفراد المجتمع بغض النظر عن إنتمائاتهم أو توجهاتهم و وخصوصا عندما تصل إلى مرحلة الرؤية إلى الكون (WORLD VIEW) و التي اقرها عالم الاجتماع "ماكس فيبر"(Max Weber) ، حيث يعني هذا المفهوم أن صياغة التمثلات الاجتماعية هي التي ستحدد نظرة الأفراد للعالم المحيط بهم، وإزائها سيكون التفاعل الاجتماعي مع جميع مكونات المجتمع، ولتعمل عناصر مثل الحس المشترك لدى الأفراد من خلال الحياة اليومية لهم و ذلك من خلال ترجمتها مع رموز ذات دلالات حتى و إن كانت غير منظمة، و غير متوقعة الحدوث سواء من خلال رفض الأخر رمزيا أو عمليا، وعلى هذا الأساس يمكن للانتماء القبلي أن يحدد السلوك و التفاعل اليومي لدى الأفراد بصورة عادية أو غير متوقعة .

2.2 التنميط والتعصب باسم القبيلة وتثبيت الهوية الاجتماعية :

من خلال عملية التنشئة الاجتماعية في المراحل الأولى لدى الأفراد ومنحهم فكرة الانتماء القبلي لدى عينة بحثنا، سيكون من الطبيعي أن يتم عكسها في الفضاء الاجتماعي المفتوح، و نقصد هنا الحقل القبلي أي موقع القبيلة ضمن التواجد القبلي العام، فمن خلال إجابات المبحوثين برزت فكرة التنميط باسم القبيلة *** حيث أجاب كل المبحوثون على أن بمجرد تواجدهم ضن خارج القبيلة، و في الفضاءات العامة حتى يتم التصنيف على أساس القبيلة لا على أساس الدور و المكانة التي يشغلها الأفراد حسب المجتمع.

وقبل الإشارة إلى منطق اشتغال مبدأ التنميط القائم على أساس القبيلة، فقد أجمع كل المبحوثون على أنه صار من المعتاد أن يتم مناداة الأشخاص على حسب الإنتماء القبلي ، وتشير عملية التنميط على أنها عملية يتم من خلالها إعطاء صفات وخصائص للجماعات، وهي الصفات التي لا تتغير وتبقى، ولا تتم إلا من خلال إخضاع الجماعات إلى عملية التصنيف إلى التأكيد، وهي آخر مرحلة من مراحل عملية التنميط (زايد، 2006، صفحة 159) ،حيث ومن خلال التفاعل القائم بين المبحوثين وجد أن التصنيف القائم على الأساس القبلي، يدخل ضمن التصنيف الجغرافي ****

أما عن أفراد عينة البحث و الذين يرون أنهم أقل مكانة في نظر الحقل القبلي فإنهم يلجئون إلى إستراتيجيات اجتماعية من شأنها أن تعمل على التكيف مع التعصب القبلي أو التغلب عليه و ذلك من خلال:

3.2. العمل على تصنيف الانتماءات القبلية :

حيث وتعتبر من أولى الإستراتيجيات التي يتخذها المبحوثين وذلك من خلال التوصيف و القدح من خلال التبرير بوجود الهيمنة القبلية و التي هي أبعد ما يكون عن الواقع

الاجتماعي المأمول و في هذا الصدد تأتي أحد إجابات المبوحثين :" الواقع الذي يعيشه مجتمعنا هو واقع يتميز بأفكار بالية و لا علاقة لها مع الواقع المتسم بالحداثة و التطور."

1.3.2 .العمل على إيجاد وخلق فضاءات اجتماعية لا تمت بصلة إلى الانتماءات القبلية:

و هي الإستراتيجية الثانية و التي يعمل عليها المبحوثين كأحد أوجه الرفض للتعصب و التنميط القائم باسم القبيلة، وتمثل ذلك في إجابات أحد المبحوثين :"نظرا لإشئمزازي من واقع التمييز القبلي، قمت بعقد صداقات مع أشخاص لا يمتون بأي صلة للمنطقة" .

يمكن تفسير سبب التوجه لعقد صداقات من طرف المبحوثين مع أشخاص ليس لهم ثقافة الانتماء القبلي هو بمثابة العمل على الانفتاح على الثقافات الأخرى من جهة و من جهة أخرى العمل على بث و محاولة تمرير تقافتهم كوسيلة من وسائل الاندماج الاجتماعي في الفضاء الاجتماعي المفتوح، أو العمل على إعادة رد الاعتبار لانتمائهم الاجتماعي و عرضه على الآخر بغية التفاعل معه و تقييمه على محك الواقع الاجتماعي البعيد عن التنميط و التعصب في نظرهم.

4.2 المساهمة في الإبداع الاجتماعي كآلية من آليات الاندماج الاجتماعي:

و ذلك يتم من خلال العمل على بلورة ثقافة وعادات الأفراد في المجتمع المفتوح و ذلك من خلال إبرازه و إبراز قوته كوسيلة من اجل تسويقه من جهة. و العمل على إيجاد أشخاص يتبنون هذه الثقافة من جهة أخرى، و في هذا الصدد تأتي أحد إجابات المبحوثين:" بطبيعة الحال يوفر لي التفاعل خارج بيئة القبيلة محاولة بلورة شخصيتي و أسلوب حياتي الأمر الذي من شأنه التصرف بكل حرية و سهولة "، كما تعتبر عملية انفتاح الأفراد على الفضاء الاجتماعي الغير قبلي كأحد العوامل المساهمة في الاندماج الاجتماعي من جهة و من جهة أخرى توفر عملية الانصهار هذه توفير حقل اجتماعي أكبر من شأنه أن يعمل على التفوق عن الحقل القبلي .

3. تجليات الانتماء القبلي لدى الشباب:

من خلال إجابات المبحوثين وتحليلها وجدنا أن الانتماء القبلي لدى الشباب أخد اتجاهين هما: اتجاه على مستوى التمثلات الاجتماعية يتجسد من خلال جعل الأسلاف و الأجداد كأسطورة خارقة و هي نتيجة لامتداد نمط الممارسة التعبدية الشعبية، وبعدا على مستوى الممارسات الاجتماعية من خلال مبدأ العصبية القبلية، و الحفاظ على عرض و شرف القبيلة وذلك من خلال :

1.3 **الانتماء كتمثل اجتماعي ونجد فيه :**

1.1.3. أسطرت الانتماء القبلي كنتاج لنمط الممارسة الدينية الشعبية:

من خلال إجابات المبحوثين وجدنا أنه تأخذ الولاية حيزا مهما للانتماء القبلي و هو أحد لبنات تمثل التيار الصوفي لدى المنتمين الى القبيلة ولتكون **البركة و الكرامة** أحد نتائجها و كل هذه العناصر تدخل في صلب المقدس الإسلامي و ليس من السهل بمكان التعاطي مع العناصر السالفة الذكر نظرا لخصوصية وصعوبة تفكيك المقدس الإسلامي : فـ المقدس الإسلامي هو متراتب و حاضر في الزمان و المكان، والذوات (الزاهي، 2005 ، صفحة 26) .

و قد أجمع جل المبحوثين حول وجود وارتباط الكرامات كأحد الصفات الحميدة و التي تميز بها أجدادهم، ويقدم علي زيعور قراءة انثروبولوجية للكرامة بحيث بقوله :هي نافذة واسعة على اللاوعي الشعبي و على التمثلات الاجتماعية التي لم تتحقق، والأحلام المرجوة، و هي طريق أرحب إلى معرفة التاريخ الروحي للشعوب الإسلامية، وتوفر إمكانيات استكشاف الصراع داخل الذات المتصوفة، في مآسيها المتلاحقة وتظهر بمثابة وسيلة لدراسة قدرتها الخيالية الخلاقة عبرها وتعرف بها التأثيرات الدينية في سير الإنسان بل و في التاريخ العربي (زيعور، 1984، صفحة 22) .

أما عن سبب التصديق بالكرامة وتلونها بالقبيلة نظرا لـ : الرواسب الكثيفة في قعر اللاوعي الفردي إبان الطفولة، بواسطة التراث الفلكلوري، و دورها النشيط في إعداد

الإنسان العربي لقبول التصوف و نتائجه، بعمل اللاوعي الجماعي على الفرد عبر الأمثال و الصور الأولى، والطرائق الطفولية عقليا في المجابهة.

إذ يمكن القول أنها تسهم في بناء المنظومة الاجتماعية، بالإضافة إلى ارتباطها كممارسة دينية فهي تسهم أيضا تعزيز انتماء الأفراد القبلي، بل حتى قبور المتصوفة تعتبر مرافق للكرامة من خلال وصفها بأماكن أولياء الله الصالحين. و كم هي من صفة تعود عليها اللسان الجزائري ،كما ترتبط بالأوساط الشعبية بحيث أن الكرامة ترعرعت في أوساط العامة، بعيدا عن الحس النقدي الصوفي، فالكرامة في أغلب الأحيان من "المرويات" التي تناقلتها مجالس المريدين، ويرجع سبب نشأتها هذه إلى أن "الولي" أو "الصالح" يكتم الكرامة، فبالتالي تتناقل و تتسرب بعيدة عنه، محملة بالكثير من الأساطير و الخرافات. (الراوي، 1994، صفحة 12) .

وتكون **الولاية** كأحد مرتكزات الأسطورة القبلية ولها دور كبير في تثبيت الانتماء القبلي لدى الشباب المبحوثين حيث ، لكل دين يمكن القول أنه يقوم بصورة رمزية إلى حد ما بإعادة إنتاج تاريخ نزوح، واندماج الأنواع البرية و العشائر، و كذلك صميم الأحداث الكبرى من حروب، مؤسسات ، اختراعات وإصلاحات، كل تلك التي نجدها في صميم أصل المجتمعات التي تنتج و تمارس ذلك كله (هرفييه و جون بول، 2005، الصفحات 271-272).

ويبقى هاجس ظاهرة الإسلام السياسي هي العنصر الذي هو انعكاس سلبي في ذاكرة الانتماء القبلي ، هذا من جهة ومن جهة أخرى تنعكس قوة تمثلات التيار الصوفي في أذهان أفراده، نظرا لاندماجه بصورة كبيرة جدا في المعتقد الشعبي الجزائري، و هو من أهم العناصر التي تصوغ هذا التمثل، حيث تكمن أهمية المعتقدات و الأفكار الشعبية، مع ارتباطها مع ذاكرة الأفراد والجماعات وذلك لرسوخها مع الذاكرة الجماعية، و لنجاعتها و ما تقدمه من إجابات لتساؤلات ما فتئ الإنسان يتساءل عنها، كمصير الإنسان، ماذا ينتظره، لتكون الأسطورة هي الحل الآني للقلق الاجتماعي، و المصير الوجودي للأفراد.

و من جهة ثانية قيام و تداخل الإسلام الطرقي، من الناحية الثقافية بالثقافة الشعبية، و القائمة على كل ما هو عفوي، و تراكم في خبرات الحياة اليومية، و اعتبار الإنسان له ميل تبريري و البحث عنه في قائمة كل ما هو عفوي، و الذهاب نحو الأجوبة الجاهزة، و البسيطة و الآتية من الماضي و التي تغنيه في كثير من الأحيان عن البحث في أسئلة و قضايا الحاضر و المستقبل .

و يكمن انعكاس تمثلات المبحوثين كما سبق ذكره ، من تلاقي الإسلام الشعبي مع الثقافة الشعبية حيث أن الثقافة الشعبية تتخطى حاجز الطبقات، و تتخطى الحدود الاجتماعية القائمة، بين أهل الريف و أهل المدينة،وتخترق كتلتي المتعلمين و الأميين،و تطال المذاهب و الأديان كافة، إذ هي تتجاوز الحصر و التحديد (عماد، 2006، صفحة 137).

و تعد الإيحاءات الدينية لا تقابل الماضي بعثا للماضي "كما يقول "هلبواش" بل تتغذى من العناصر القديمة التي لم تكبت بواسطة الدين الرسمي، و هذا ما يظهر التعارض بين الدين الرسمي و الدين الطرقي حيث يتجلى ذلك الصراع القديم الجديد بينهما.

وعلى هذا الأساس فالذاكرة الجمعية للقبيلة تستحضر التمثلات الاجتماعية و الدينية، من خلال إعادة استرجاعها، والدفاع عنها في كل فرصة، وبهذا فتمثلات الإسلام الطرقي تزداد تحفزا خلال المناسبات والاحتفالات وما أنتجته الحداثة في الحقل الديني من خلال بروز تيارات دينية رافضة للتقاليد و الدين الشعبي فقد زاد من عنف رد فعل مناصري الدين، وبهذا فـ: تلك إشكالية خاصة بذاكرة ثقافية مجمعة و مركبة ومدمجة لتيارات من الفكر، صدى لذاكرات جماعات تحللت تدريجيا بفعل الزمن، و تعدلت وفقا للتحولات و التغيرات التي شهدها المجتمع . (هرفييه و جون بول، 2005، صفحة 273).

2.3.الانتماء القبلي كممارسة اجتماعية:

1,2,3.العصبية القبلية كهوية والنظرة إلى الممارسة السياسية لدى الشباب

تمثل الهوية تعبيرا عن الوعي بالذات الثقافية والاجتماعية للفرد والمجتمع وما ينعكس عنها من تحول وتغير اجتماعي في القيم الثقافية والاجتماعية والصراع القيمي الذي يشهده المجتمع الجزائري،فكل من يلاحظ الأزمة الثقافية والقيمة التي يعيشها المجتمع الجزائري يتأكد أن هذه الأزمة تتمثل في صلبها أزمة هوية من خلال التحولات العميقة التي تطرأ على الذات الاجتماعية أي أن الجزائريين انقسموا على أساس المزيج القيمي بين قيم الثقافة التقليدية التي تشربوها من الانتماء القبلي وقيم الثقافة الغربية الوافدة من خلال آليات العولمة، وبين هذا وذاك غاب نوعا ما الحس بالهوية الوطنية. هذا التعارض بين الهوية الوطنية بكل مقوماتها وبين الأنساق الجديدة التي فرصتها العولمة تسبب في ظهور أزمات أخلاقية ونفسية غير مسبوقة لدى الشباب الجزائري.

ومن هذا المنطلق فان الهوية الجزائرية اليوم تواجه أقوى التحديات داخليا وخارجيا لان الواقع بات يفرز أفعالا يصعب التحكم فيها واحتواءها مثل الحركات الأصولية الدينية التي بدأت تظهر في المجتمع الجزائري وكذا بعض مظاهر اللجوء إلى العنف ، و"بروز منطق تغليب الفردانية في مقابل الاعتزاز بالجماعة الذي يعتبر احد مرتكزات ومزايا القبيلة، بحيث أصبح الشباب يتجه نحو ثقافة الفردية ويظهر ذلك من خلال غياب وبداية تراجع المرجعيات الاجتماعية والعزوف الخطير عن السياسة والتسييس (الشامي، 2013، الصفحات 25-10) والغياب شبة التام عن الحياة الجماعية المشتركة والابتعاد عن فعاليات المجتمع المدني.

استنتجنا من خلال الاستطلاع الذي قمنا به أن الشباب لا يعي كثيرا المهام والمسؤوليات الكبيرة التي تقع على عاتقه، خاصة في أخذ المبادرة في الإصلاحات على كافة المستويات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية، وتفعيل العمل المدني التطوعي بجد وإخلاص، لتوعية المجتمع من خلال بناء تنظيمات جمعوية قوية ضمن نسيج

المجتمع المدني التطوعي المشارك باختلافه وتنوعه؛ لأنه داخل هذه التنظيمات يبرز دور الشباب بالوعي الثقافي والاجتماعي والاهتمام بالعلم والمعرفة والمشاركة التطوعية القائمة على التواصل والتكامل والتسامح وخدمة الصالح العام.

3.3القبلية والمواطنة بين التمثل والممارسة:

هناك قدرا من عدم التوافق بين مفهوم القبيلة التي يتحدد الانتماء لها وما يترتب على ذلك الانتماء من حقوق وواجبات من خلال "نظام القرابة والعصبية". وبين مفهوم الدولة الذي يتحدد الانتماء لها من خلال مفهوم "المواطنة والانتماء الجغرافي"، وكلما سارعت الدولة خطاها وحثت مساعيها نحو تكريس سلطتها وتعزيز هيمنتها كلما اتضحت حدة التناقض بينها وبين النظام القبلي.

تدخلت الدولة في تغيير المجتمع من وضعية تقوم على أساس روابط الدم والعرق إلى وضعية تقوم على أساس الحداثة من خلال عملية التحديث التي عرفتها الجزائر أفرزت هذه العملية عدة صراعات قيمية في المجتمع ظهرت من خلال تعامل الشاب الجزائري مع المعطى الثقافي الذي أصبح يوصف بالازدواجية .

لكن القبيلة لم تستسلم لهذا التحديث وإنما حاولت إعادة إنتاج نفسها مع مسايرة الوضع الراهن دون انغلاق تام عن التحديث أو الذوبان التام في ثناياه، إذ رغم عمليات التفكيك الواسعة التي عرفتها البنية القبلية إلا أنها استمرت رمزيا وثقافيا، فهي دائما تعيد إنتاج نفسها وتظهر ملامحها بشكل دوري خاصة في المناسبات و حينما تتحرك المصالح الفردية والجماعية لأفرادها والمنتمين إليها (بوطالب، 2002، صفحة 187) .

إن ظهور المجتمع المدني كان نتيجة للتحضر فالجمعيات تعتبر فضاء بديل عن العائلة والقبيلة لكنها لا تلغيها. هذه الأخيرة التي كانت تقوم بتسيير الحياة اليومية لأفراد الجماعة المنتمين لها عرقيا وحمايتهم والدفاع عن مصالحهم وتحقيق احتياجاتهم في شكل تضامن ألي تحكمه روح الجماعة مقابل ولائهم التام وعدم الخروج عنها، ومن الأمثلة عن ذلك نجد تاجماعت في منطقة القبائل والمجلس في وادي ميزاب. أما في الهقار والتاسيلي

نحد أمين العقال الذي يمتلك السلطة المعنوية والروحية. وفي بشار نجد قبيلتين كبيرتين متنافستين في الغالب ومتصارعتين أحيانا هما ذوي منيع وأولاد جرير.

4. الاعتراف بالانتماء القبلي كانتماء اجتماعي من أجل ترسيخ قيم المواطنة:

من خلال إجابات المبحوثين و التي تدل على حقيقة الانتماء القبلي منذ أولى عمليات التنشئة الاجتماعية وما أفرزته من انعكاسات و التي تؤدي لا محالة إلى التصادم مع قيم المجتمع الحديث القائم على تكريس ضرورة تكريس و تعزيز مبدأ المواطنة، يمكن أن نعمل على تصحيح العلاقة أو على الأقل الإشارة إلى إمكانية إرجاع هذا الواقع إلى المآل المنشود وذلك من خلال التركيز على ضرورة التفاعل الاجتماعي و تشجيعه بين الشباب على حسب ما نادى إليه أحد رواد مدرسة فرانكفورت في حقبتها الثانية ألا و هو "أكسل هونيث" (**Honneth Axel**)، والذي صاغ نظريته الموسومة بـ: نظرية الاعتراف و التي تتشكل في نماذج معيارية ثلاثة، تمثل شروطا ومضامين لأخلاقيات الاعتراف وهي: الحب والاعتراف والتضامن (المحمداوي و اخرون، 2012، صفحة 25) .

حيث و مع المستويات الثلاثة للاعتراف و التي سنعمل على إسقاطها على الواقع الاجتماعي وذلك من خلال:

تعزيز أواصر المحبة، حيث يمكن لمشاعر المحبة و التي يكنها الشباب لقبيلتهم الأمر الذي يعزز له عامل الاعتداد و الثقة بنفسه، و هو العامل الذي يمكن أن يساعده في المساهمة الخلاقة في مجتمعه حيث و بمقدار تعلق الشباب بالانتماء القبلي ليس بالضرورة أن يؤدي إلى واقع التعصب و التنميط بين الجماعات و الأفراد، فإذا ما تم استغلال هذا المبدأ و تحفيزه من خلال اتخاذه كنقطة قوة لما يمثله من رابطة اجتماعية تتخذ من العلاقات القرابية متكأ لها، حيث من الواجب تنمية الروابط الأسرية، باعتبار أن فئة الشباب هي التي ستعيد إنتاج المجتمع من خلال تكوينها لأسر في المستقبل، الأمر الذي يضمن لنا مجتمعا متضامنا ومتماسكا قوامه التكافل و التعاون.

أما عن علاقات الجوار فهي تعتبر أيضا من أهم اللبنات الأولى و التي تقوم عليها المدينة في المجتمع الجزائري، حيث يعتبر أيضا تنمية علاقات الجوار و حتى و إن كانت قائمة على أواصر العلاقات القبلية يمكن لنا أن تكون بداية لوجود فضاءات اجتماعية بعيدة عن الآفات الاجتماعية، و بهذا يمكن تغيير واقع الأحياء في المدن الجزائرية و التي تشهد تقسيما واضحا بين الأحياء الهادئة و الذي يعود السبب و الفضل الأول إلى تميز ساكنيها بالمستوى الاقتصادي العالي، و العكس صحيح حيث أنه كلما تميز سكان الأحياء بمستوى اقتصادي ضعيف ستشهد جملة المشاكل الاجتماعية، وبهذا ألا يمكن لنا من نعمل على قلب هذا الواقع ويكفي ذلك التركيز على إحياء أواصر المحبة و التكافل بين ساكني الفضاءات الحضرية.

أما فيما يخص المستوى الثاني ذو الصبغة القانونية و السياسية حيث يرى "أكسل هونيث" بأن كل أشكال التعبير السياسية و الاجتماعية ليس بالضرورة قراءتها قراءة قوامها الرفض و الانعزال بل بالعكس من ذلك فهي إشارة على أن أفراد المجتمع يريدون البعث برسالة فحواها البحث عن نوع من الاستقلالية الفردية والحرية ضمن المجتمع، وبهذا فإعطاء الحقوق للفئة الشبانية على المستوى السياسي من خلال تكريس وزرع مبدأ الديمقراطية، و الأخذ في الحسبان الاستماع إلى مطالب الشباب و إعطاء حلول لما تعانيه من إقصاء و تهميش على حسب رأيها، لتكون الحلول مبناة على قواعد و أبعاد اجتماعية ونفسية و اقتصادية و ليس كمجرد ردود أفعال من أجل التهدئة كما أقره أفراد بحثنا.

ليكون تفعيل مؤسسات المجتمع المدني لاستيعاب الطاقات الشبانية وتنميتها و تطويرها سواء كان ذلك إدارة أو تأطيرا و تخطيطا ليتخرج منها أفرادا واعين بأهمية المجتمع المدني و الدور المنوط به.

كما يمكن أيضا العمل على إحياء عنصر التضامن الاجتماعي كأحد السبل و التي من شأنها أن تعمل على تصحيح هذا الواقع، من خلال العمل على تأطير الشباب أخلاقيا من خلال إعادة بعث التدين الجزائري القائم على الخصوصية المغاربية، وعدم ترك الفضاء الديني شاغرا تأطره وسائل الإعلام و التي تبث قيما حتى وإن كانت دينية لكن هي أفكار دينية مجتثة من سياقها التاريخي و الاجتماعي ،وذلك من خلال إعادة الدور الاجتماعي للمؤسسات الدينية والتي تأخذ الطابع الاجتماعي و الديني في نفس الوقت.

ليكون عنصر إعادة تفعيل دور الشباب في المجتمع و إعطائه صفة المبادرة و القيادة، وهو الأمر الذي أجمع عنه جل المبحوثون، حيث نلمس من خلال إجاباتهم رغبة و تطلعا في المساهمة في البناء الاجتماعي و الوطني، وبهذا لابد من إعادة النظر إلى فئة الشباب باعتبارها فئة اجتماعية بحاجة إلى المساعدة و العون.

حيث وبقدر إدراك الشباب لذواتهم ضمن المجتمع بقدر ما يفتؤون طرح تساؤلاتهم حول وضعهم ودورهم حيث إذا اجتمعت العناصر السالفة الذكر يمكن أن نكون قد عملنا إلى إنتاج شباب من الناحية الاجتماعية مدركا لذاته، وواعيا بوضعه ضمن المجتمع عاملا على المشاركة الإيجابية في واقعه المعيش تفاعلا و تعاملا.

وفي الأخير نختم بمقولة الفيلسوف الألماني "أكسل هونيث" المجتمع الجيد هو المجتمع الذي يسمح لأفراده بتحقيق ذواتهم و إستقلاليتهم، من خلال توفير الظروف الثقافية و الاقتصادية و الاجتماعية، كما أنه يسمح لأفراده بتحقيق أحلامهم دون المرور من تجربة الاحتقار أو الإقصاء وبعبارة أخرى فالمجتمع الجيد هو الذي يضمن لأفراده شروط حياة جديدة (المحمداوي و اخرون، 2012، صفحة 670) .

5. خاتمة:

تعيش القبيلة تفكك واسع النطاق نتيجة إيقاعات مختلف التحولات السريعة والمتلاحقة بسبب عدة عوامل من بينها الثورة التكنولوجية، هذا التفكك مس بشكل أساسي منظومة القيم التي تمثل أهم مرتكز تقوم عليه القبيلة وتستمثر فيه من اجل إعادة إنتاج نفسها. في هذا السياق المحموم بالتسارع لم يسلم الشباب من موجة التغيير هاته وتداعياتها، وهذا ما لمسناه من خلال تغير نظرة الشباب تجاه القبيلة إذ أصبح ينظر لها نظرة سلبية نوعا ما على اعتبار أنها تحد من حريته وطموحه بينما بدأ يتبنى وبقوة القيم العالمية على حساب القيم المحلية إذ أصبح الشاب يتقبل العولمة ويثق إلى حد كبير في المؤسسات الدولية كالاتحاد الاربي والمنظمة العالمية للتجارة ويعتبرها كبديل إما عن وعي حقيقي أو دون وعي عن المؤسسة التقليدية التي ترعرع من خلالها وتشرب قيمها والتي هي القبيلة، وأصبح يؤمن بالانترنت والهجرة وما إلى ذلك من المواضيع التي أصبحت تشكل حضورا قويا في حياته.

6. قائمة المراجع:

ابراهيم عيسى عثمان. (2007). النظرية المعاصرة في علم الاجتماع . عمان الأردن: دار الشروق.

احمد زايد. (2006). سيكولوجية العلاقات بين الجماعات (قضايا في الهوية الاجتماعية و تصنيف الذات). الكويت : المجلس الأعلى للثقافة و الفنون و الآداب.

الاشهب يونس الشامي. (2013). ، سوسيولوجيا المواطنة أم علم تربية المواطنة "أنماط العلاقة بين النسق الاجتماعي والنسق التربوي ضمن خصوصية التربية على المواطنة. مجلة إضافات(24/23).

دانييل هرفييه، و وليام جون بول. (2005). سوسيولوجيا الدين (الإصدار 01). (درويش الحلوجي، المترجمون) مصر: المجلس الأعلى للثقافة.

عبد الستار الراوي. (1994). التصوف و الباراسيكولوجي ، مقدمة أولى في الكرامات الصوفية و الظواهر النفسية الفائقة (الإصدار 01). بيروت لبنان: المؤسسة العربية للدراسات و النشر.

عبد الغني عماد. (2006). سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات ...من الحداثة إلى العولمة (الإصدار 01). بيروت لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

علي زيعور. (1984). علي زيعور:الكرامة الصوفية و الأسطورة والحلم القطاع اللاواعي في الذات العربية (الإصدار 02). يروت لبنان: دار الأندلس للنشر و الطباعة و التوزيع .

علي عبود المحمداوي، و اخرون. (2012). مدرسة فرانكفورت النقدية (جدل التحرر و التواصل و الاعتراف) (الإصدار 1). الجزائر: ابن النديم للنشر و التوزيع.

محمد نجيب بوطالب. (2002). سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي. لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

ناصر ايت مولود. (2015). السوق و طقوس العبور في منطقة القبائل. Insaniyat / إنسانيات(45)، 20-10.

نور الدين الزاهي. (2005). المقدس الإسلامي (الإصدار 01). المغرب: دار توقبال للنشر.

6.هوامش:

* على سبيل المثال عند إقامة طقس الزواج تعطى الأولية لدى الحضور لأبناء القبيلة حيث يخصص لهم يوم معروف ب "أبناء القبيلة " ،و لا تتم دعوة أي فرد خارجها ، وفي هذا اليوم اليوم يلبس العريس برنوسا وهو عبارة عن رداء يكون لأحد اجداده كناقل لبركة القبيلة، كما يجب على العريس أيضا في هذا اليوم أن يكتحل و يضع سيفا وهو من الرمزية بمكان التي تدل على انتمائه القبلي . وفي اليوم الثاني يتم دعوة الأصدقاء الذين لا ينتمون إلى القبيلة .

** و من جملة الأوصاف التي نعت المبحوثون القبائل التي ينتمون إليها ما يلي :"أصحاب النيف"،"أصحاب البارود" ،"المجاهدون الأبطال"، أهل الجود و الكرم.

*** و من أهم التصنيفات التي أدلى بها المبحوثون و هي **الجريري** نسبة إلى قبيلة "أولاد جرير"، و تسمية **منيعي** نسبة إلى قبيلة "أولاد منيع" ، بالإضافة إلى تسمية **الشرقي**، وهو التصنيف الذي يطلق على كل فرد لا ينتمي إلى منطقة بشار، و أن موطنه شرق مدينة الساورة كالأشخاص ذو الأصول الممتدة من ولاية البيض باتجاه الوسط والشرق .

**** من خلال إجابات المبحوثين تم التركيز على توزيع مناطق الانتماء الجغرافي في مدينة بشار و هي كالتالي :أبناء قبيلة أولاد جرير، قبيلة ذوي منيع ،الشراقة، بطبيعة الحال هذا التقسيم الجغرافي توجد فيه استثناءات حيث يمكن أن نسجل أن هناك أفرادا ذوو انتماء قبلي غير ملزمين بالتقسيم الجغرافي، وخصوصا وأن مدينة بشار تشهد ميلاد أحياء سكنية جديدة خارجه عن التقسيم الإداري القديم لمدينة بشار.